الدراسات القرآنية في السيرة النبوية لابن هشام .

الدكتور كاهد ياسر الزبيدي
استاذ مساعد

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

تمهيد

في السيرة وما تقدمتها من دراسات :

عني المسلمون قبل كل شيء بتدوين القرآن الكريم، إذ كان النبي (ص) يأمر بكتابة ما ينزل من قرآن اولا بأول. وقد اتخذ كتّاباً ثقات عرفوا بالأمانة والصدق والإيمان. ولم يسمح اول عهد المسلمين بالاسلام بتدوين الحديث (١) خوفاً من التباسه بالقرآن (١) ؛ ثم سمح بعد أن أمن اللبس بتدوينه فقال : «قيّدوا العلم بالكتاب» (٢).

إلا أن تدوين الحديث لم يتخذ سمة رسمية منظمة الا في عهد عمر بن عبد العزيز (ت ١٢٤هـ) الذي كتب إلى عامله على المدينة أبي بكر محمد بن عمر بن حزم يأمره بذلك : وعالل طلبه هذا بخوفه «دروس العلم وذهاب أهله» (٣).

وكانت سيرة الرسول (ص) إحدى الجوانب التي عني المحدثون بتدوينها، وهي الجانب الذي صار من بعد باباً من أبواب كتبهم التي يطلقون عليها اسم : «المغازي والسير» ؛ كما كانوا يفردون للدراسات القرآنية باباً يسمونه : «التفسير». وبدأت حركة التدوين والتصنيف تنشط منذ ذلك الوقت ، إلا أن علم التفسير كان بادىء الأمر فرعاً من علم الحديث، ولذلك ظهر في مصنفات الحديث القديمة :

وتلت ذلك حركة علمية واسعة في مختلف العلوم الاسلامية، وبخاصة في الدراسات القرآنية، متمثلة بتفسير غريب القرآن، وبيان قراءاته، والتعريف باللغات التي فيه ، والعناية بالأشباه والنظائر ، وما إليها من دراسات مهمة مبكرة، على نحو ما نجد في تفسير مجاهد بن جبر المكي (ت ١٠٣ هـ) وسفيان الثوري (ت ١٦١ هـ)، وفي مصنفات أبان بن تغلب البكري (ت ١٤١ هـ) (٤) في غريب القرآن وقراءاته ، ومصنفات أبي الجارود العبدي (٥) ، ومقاتل بن سليمان التنوخي (٦) (ت ١٥٠ هـ) في تفسير القرآن :

---

(١) انظر : مسلم ٨/٢٢٩. ومقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص ٨٨ .

(٢) الرضي : المجازات النبوية ص ١٧٩ الحديث رقم ١٤٠.

(٣) ابن سعد : الطبقات ج٢ق٢ص١٣٤. وانظر: الصالح : علوم الحديث ومصطلحه ص ٤٥ .

(٤) ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ١/٤. وانظر في تفسيره : الطوسي : الفهرست ص٤١.

(٥) هو منذر بن زياد، أملى عليه محمد الباقر تفسيراً، وأخذ عن زيد بن علي التفسير أيضاً. انظر في تفسيره : ابن النديم : الفهرست ص ٥٠ و ٢٥٣ .

(٦) صاحب التفسير ، و«الأشباه والنظائر في القرآن»، وكلاهما مطبوع بتحقيق الدكتور عبدالله شحاته .

ولم تلبث (المغازي والسير) أن أفردت في مصنفات خاصة بها، تناولت أخبار النبي (ص) وطرفاً من أخبار العرب قبل الاسلام. وقد تضمنت، في جملة ما تضمنت دراسات تتعلق بالقرآن الكريم وعلومه كالتفسير ونحوه. وكان أول من كتب في سيرة النبي (ص) عروة بن الزبير بن العوام، وتلاه آخرون، منهم ابن شهاب الزهري، حتى انتهى الأمر إلى محمد بن يسار مولى قيس بن مخرمة بن عبدالمطلب بن عبد مناف (ت ١٥١ هـ)، صاحب السيرة الشهيرة التي اتخذها ابو محمد عبدالملك بن هشام البصري (ت ٢١٨ هـ) أساساً لسيرته التي عرفت بـ «سيرة ابن هشام»، والتي هذب فيها سيرة ابن اسحق، بحذف ما لم يره لائقاً وبخاصة الشعر المقذع (١)، وإضافة ما رآه مناسباً، في التفسير والشعر ونحوهما. وقد امتازت سيرة ابن اسحق، بأن مؤلفها أفرد سيرة الرسول (ص)، بما تشتمل عليه من مناسبات نزول وتفسير وأحداث الاسلام، من النصوص الحديثية (٢)، التي كانت هذه الموضوعات لدى كثير من المؤلفين جزءاً منها، على ما بيناه آنفاً. فلما أن جاء ابن هشام ضمّن هذه المواد سيرته على النحو الذي وصفنا. وعملي في هذا البحث يقع في نطاق هذا الكتاب الذي خلّده ابن هشام، والذي كان أساسه سيرة ابن اسحق كما بينا. وقد عنيت فيه ببحث الدراسات القرآنية التي أولاها المؤلفان الجليلان أهمية واضحة. سواء تعلقت بالقرآن وتاريخه، أم بأسباب نزوله، أم بتفسيره أم بالموضوعات الأخرى المتعلقة به، وهي التي يطلق عليها في الاصطلاح اسم «علوم القرآن».

وحيث إن أكثر هذه العلوم وروداً في السيرة: «النزول» و «التفسير» وما يتعلق بالقرآن وتاريخه، فقد افردت لكل منها قسماً خاصاً به، على حين جمعت بقية الدراسات، التي هي دونها في مقدار المادة، تحت عنوان واحد سميته «دراسات قرآنية أخرى»، وضمّنته القراءات والمبهمات والمعرّب والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه. ورأيت أن اختم البحث بموجز لأثر السيرة في مصادر الدراسات القرآنية، ضارباً أمثلة من هذا التأثير، دون توخي الاستقصاء أو البسط.

وآمل أن اكون قد وفقت في اعطاء صورة واضحة عن طبيعة هذه الدراسات في كتاب السيرة، ووفرة مادة الكثير منها، وأصالتها في بابها. والله الموفق.

(١) تنظر مقدمة ابن هشام للسيرة النبوية ٢/١ .
(٢) الجويني : مناهج في التفسير ص ٥ .

(١)

القرآن وتاريخه :

ضمت السيرة النبوية دراسات تتعلق بالقرآن الكريم وتاريخه ، تعد السيرة من أصل المصادر فيها . من ذلك ما يصح أن يطلق عليه اسم الاوائل (١) المتعلقة بالدراسات القرآنية ، كبداية نزول الوحي ، وأول ما نزل من القرآن وتاريخه ، وأول من جهر بعد الرسول (ص) بمكة بالقرآن من المسلمين أمام المشركين ، وما اليها . فضلا عن عدد من المصطلحات الخاصة بهذه الدراسات .

وأول ما يلقانا من تاريخ القرآن المتعلق بنزوله في كتاب السيرة ، ما أورده ابن هشام عن ابن اسحق في موضوع بداية نزول الوحي على النبي (ص) وكيفيته، وما نزل في ذلك من قرآن . وقد جعله المصنف مع مبحث آخر يتعلق بالنزول هو « ابتداء تنزيل القرآن » ، في مقدمة المباحث المتعلقة بالقرآن . وكأنه استشعر أهمية هذا المبحث من بين علوم القرآن ودراساته . فقدمه على ما سواه ، لأن العلم بنزول القرآن — كما يقول الزرقاني (٢) بحق — : « أساس للايمان بالقرآن ، وأنه كلام الله ، وأساس للتصديق بنبوة الرسول (ص) ،وان الاسلام حق . ثم هو اصل لسائر المباحث الآتية بعد في علوم القرآن . فلا جرم ان يتصدرها جمعاء ليكون من تقريره وتحقيقه سبيل الى تقريرها وتحقيقها » .

ذلك أن ابن اسحق روى بسنده عن عبد الله بن الزبير عن عبيد بن عمير الليثي في كيفية « بدء ما ابتدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة » ،فذكر اعتياده المجاورة في غار حراء شهراً من كل عام ،يتحنث فيه. ثم نزول الوحي عليه . فذكر ان النبي (ص) حدث أصحابه أن جبريل جاء — وهو نائم — بنمط من ديباج — أي ثوب من حرير — فيه كتاب ، فقال: اقرأ ، قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ، قلت : ماذا أقرأ ؟ قال : فغتني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال: اقرأ ، قال : فقلت : ما أقرأ؟ فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم . علّم الانسان ما لم يعلم » (٣) . قال :

(١) وقد ألف فيه كثيرون ، منهم أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، وبدر الدين السبكي (ت ٧٦٩هـ) والسيوطي (ت ٩١١هـ) وكتابه مطبوع واسمه: الوسائل إلى مسامرة الأوائل، وهو يتعلق بالفقه الاسلامي .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ٣٣/١ .

(٣) هي الآيات من ١ — ٥ من سورة العلق .

فقرأتها ، ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي ، فكأنما كتبت في قلبي كتاباً » : ثم روى عن رسول الله (ص) أنه خرج بعد ذلك من الغار ، حتى اذا كان وسط الجبل سمع صوتاً يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ، وأنه رأى جبريل صافاً قدميه في أفق السماء ، ثم لم يزل واقفاً في مكانه حتى انصرف عنه جبريل ، فعاد الى أهله وقص القصة على زوجه السيدة خديجة ، التي بشرته ورجت أن يكون نبي هذه الأمة ، وانطلقت الى ابن عمها ورقة بن نوفل لتخبره بما حدث ، فلما سمع منها ذلك قال : إن الذي جاء محمداً إنما هو « الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وأنه لنبي هذه الأمة » وأخبرها أن تقول له فليثبت .

وتمضي القصة الى لقاء النبي (ص) بورقة وإخباره إياه بنفسه بما حدث ، ثم قول ورقة له إنه نبي هذه الأمة ، وإنه سيكذبه قومه ويؤذونه ويخرجونه ويقاتلونه ، وأنه وعده بنصرته إن أدرك ذلك اليوم ، ثم أدنى يافوخه فقبله ، وعندها انصرف رسول الله (ص) الى بيته (١) . وهذا الذي رواه ابن اسحق أقدم ما وصل الينا من قصة بدء الوحي ، وأول ما نزل من القرآن ؛ إذ أن ما ورد بعد ذلك في كتب الحديث كصحيح البخاري (٢) ومسلم (٣) ، أو كتب المغازي كمغازي الواقدي ، أنما كان بعد سيرة ابن اسحق بزمن ، يتراوح ما بين نصف قرن الى قرن (٤) .

وليس بين السيرة وبين هذه المصادر من تباين — في هذا الموضوع — إلا في اللفظ أو شيء من التفصيلات . والذي أورده صاحب السيرة حول أول ما نزل من القرآن — وهو سورة إقرأ — هو الأصح (٥) الأثبت الأشهر الذي عليه أكثر من أرخ لهذا الموضوع كالبخاري ومسلم والحاكم والبيهقي والطبراني(٦) . بل نقل الفيروز آبادي(٧) عن الماوردي والنيسابوري الاتفاق على ذلك . وليس ذلك واقعاً إذ منهم من خالف ؛ واما ماذكره ابن

---

(١) سيرة ابن هشام ١/١٥٤ — ١٥٦ .
(٢) باب بدء الوحي ١/٣ .
(٣) باب بدء الوحي ١/٩٧ .
(٤) إذ كانت وفاة ابن اسحق سنة ١٥١هـ، ووفاة البخاري سنة ٢٥٦هـ، ووفاة مسلم سنة ٢٦١هـ .
(٥) الزرقاني : مناهل العرفان ١/٨٦ .
(٦) الزركشي : البرهان ١/٢٠٦ .
(٧) بصائر ذوي التمييز ١/٩٨ .

اسحق من مجيء الملك النبي (ص) في المنام فإن الذين شرحوا السيرة ، أو اعتمدوا عليها في تصنيف سيرة النبي بتفصيل اكثر ، لم يستبعدوا ذلك ، بل رأوه إرهاصاً وتمهيداً لتبليغه بالرسالة واعلامه بأنه نبي مرسل من الله . قال السهيلي (١) (ت٥٨١هـ) : «جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيراً عليه ورفقاً به ، لأن أمر النبوة عظيم ، وعبؤها ثقيل ، والبشر ضعيف .. » . وتابعه عليه ابن كثير (٢) فقال : « فكان هذا كالتوطئة والتمهيد لما يأتي بعده من اليقظة » . وأضاف اليه أنه « قد جاء مصرَّحاً بهذا في مغازي عقبة عن الزهري ، أنه رأى ذلك في المنام ثم جاءه الملك في اليقظة » ، وجعل حديث السيدة عائشة : «أول ما بدىء به الوحي الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح » مقوياً لما أورده ابن اسحق عن عبيد الليثي . كما نوه بما رواه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في « دلائل النبوة » بسنده عن علقمة بن قيس من « أن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام الرؤيا حتى تهدأ قلوبهم ، ثم ينزل الوحي بعدُ » . وبهذا فإن ما ورد في السيرة من رؤية النبي (ص) الملك في المنام قبل رؤيته له في اليقظة ، له ما يدعمه ويؤيده من أقوال السلف وروايات المحدثين .

وفي موضوع « ابتداء تنزيل القرآن» ذكر ابن اسحق أن ابتداء نزول القرآن كان في شهر رمضان، واحتج له بقوله تعالى : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان» (٣)، وبقوله : «إنا أنزلناه في ليلة القدر...» (٤) وبقوله: «حم والكتاب المبين. إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين» (٥). واحتمل السهيلي(٦) أن قول ابن اسحق بذلك يحتمل تأويلين : أحدهما : أن يكون اراد بدء النزول وأوله، والآخر : ما قاله ابن عباس من أنه نزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك آية بعد آية وسورة بعد سورة . وبيّن أن هذا التأويل أشبه بالظاهر وأصح في النقل .

---

(١) الروض الأنف : ٢/٣٩٢-٣٩٣ .
(٢) السيرة النبوية ١/٣٨٧-٣٨٨ .
(٣) البقرة : ١٨٥ .
(٤) القدر : ١ .
(٥) الدخان : ١-٣ .
(٦) الروض الأنف ٢/٤١٩ .

وهذا الذي احتمله السهيلي وعدّه الأقرب الأصح، هو الذي يراه جمهور الباحثين من القدامى والمعاصرين. إذ ذهبوا إلى أن المراد بذلك التنزيل الثاني للقرآن (١)، وهو نزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا بلسان عربي مبين في ليلة القدر. ثم نزل بعد ذلك منجّماً آية آية أو سورة سورة على مدى عشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين عاماً على خلاف في ذلك.

وممن ذهب إلى ذلك الحكيم الترمذي (٢) (ت٣٢٠هـ) وأبو شامة المقدسي (٣) (ت٦٦٥هـ) وبدر الدين الزركشي (٤) (ت٧٩٤هـ)، ونص على أنه «أشهر وأصح» وأن «إليه ذهب الأكثرون»، واحتج له بما ورد في كتب الحديث والآثار، وذهب إليه السيوطي (٥) أيضاً. وممن رجحه من المعاصرين محمد عبد العظيم الزرقاني (٦)، ورأى «أنه المتبادر من نصوص الآيات الثلاث السابقة».

غير أن الحافظ ابن كثير (ت ٧٤٧هـ) لم يفهم كلام ابن اسحق الفهم الذي فهمه هؤلاء الباحثون، ولم يؤوله كما أوله السهيلي فيما ذكرناه آنفاً، بل حمل كلامه واستشهاده بالآيات الثلاث محملاً آخر، وهو أنه أراد بذلك ابتداء نزول القرآن على النبي محمد (ص)، وبيّن أن هذا هو المشهور، وذلك لإيراد ابن اسحق وغيره له. وحكى عن الواقدي عن أبي جعفر محمد الباقر أن ابتداء الوحي إلى النبي (ص) كان في شهر رمضان. وحكاه كذلك عن الامام أحمد ابن حنبل عن أبي واثلة بن الأسقع عن النبي (ص)، وذكر أن ابن مردويه رواه في تفسيره عن الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري مرفوعاً إلى النبي (ص) (٧).

ومع مايبدو بين القولين من تباين، غير أنه يمكن الجمع بينهما في الواقع بما يقرب مما ذكره أبو شامة (٨) في هذا الموضوع، وهو أن قوله تعالى: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن»

---

(١) يذكر الباحثون أن للقرآن ثلاث تنزيلات: الأول نزوله إلى اللوح المحفوظ، والثاني إلى السماء الدنيا. والثالث بوساطة الوحي جبريل على النبي محمد (ص).

(٢) أبو شامة: المرشد الوجيز ص ٢٦.

(٣) نفسه ص ٢٤.

(٤) البرهان في علوم القرآن ٢٢٨/١.

(٥) الاتقان في علوم القرآن ٤٠/١.

(٦) مناهل العرفان في علوم القرآن ٣٨/١.

(٧) ابن كثير: السيرة النبوية ٣٩٢/١ وما بعده.

(٨) المرشد الوجيز ص ٢٤.

يمكن أن يكون اشارة إلى نزوله جملة إلى السماء الدنيا ، وبداية لنزوله إلى الأرض على النبي (ص) ، فيكون هذا الشهر المبارك ظرفاً لكلا التنزلين .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ، هو أن مما ذكره ابن اسحق في تاريخ نزول الآي ، مالم يوافقه عليه بعض المحققين وهو الحافظ ابن كثير ، وذلك عند قوله إن سورة (الضحى) أول مانزل من القرآن بعد انقطاع الوحي عن الرسول (ص) (١). وقد استند ابن كثير فيما ذهب إليه إلى ماروي في الصحيحين من أن أول القرآن نزولاً بعد فتور الوحي سورة (المدثر)، ثم تلتها بعد ليال سورة (الضحى) (٢). غير أن الذي رواه الواحدي (٣) بعدة أسناد عن أبي ذر والزبير وغيرهما ، موافق لما جاء في السيرة ، إذ روى أن أول سورة نزلت بعد فتور الوحي هي الضحى .

• • •

وأفرد ابن أسحق حديثاً خاصاً عن (أول من جهر بالقرآن) بعد النبي (ص) . فروى عن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه أنه قال : «أول من جهر بالقرآن — بعد رسول الله صلى عليه وسلم — بمكة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه» ، وأنه إنما فعل ذلك تحدياً للمشركين ، فتلا عند الضحى في المقام سورة «الرحمن» وقريش في أنديتها ، فضربوه على وجهه ، وهو لايأبه بما يفعلون ، حتى بلغ منها ماشاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى صحبه وقد أثروا في وجهه ، فقالوا له «هذا الذي خشينا عليك. فقال: ماكان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينّهم بمثلها غدا ، قالوا: لا ، حسبك ،قد أسمعتهم ما يكرهون ».

ونلحظ أن ابن أسحق (٤) يؤرخ لأول آية نزلت في الإذن للنبي (ص) وأصحابه بالقتال، لمن بغى عليهم . فيذكر أنها قوله تعالى: «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير »(٥)، وهي التي أعقبها مباشرة قوله تعالى : «الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد

(١) ابن هشام : السيرة ١/١٥٩ .
(٢) ابن كثير : السيرة ١/٤١٣ — ٤١٤ .
(٣) أسباب النزول ص ٢٥٦ .
(٤) السيرة ١/٣٢٠ — ٣٢١ .
(٥) الحج : ٣٩ .

يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرنّ الله من ينصره إنّ الله لقوي عزيز» (١). وهذا الذي ذكره ابن اسحق في أولوية هذه الآية ،قاله غير واحد من السلف ، كابن عباس وعروة بن الزبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة وغيرهم ،وهو أنها «أول آية نزلت في الجهاد»(٢).

• • •

وفي مجال المصطلحات المتعلقة بتاريخ القرآن ،يضع ابن اسحق أيدينا على شيء منها ، خلال مايورده من روايات. من ذلك مصطلح «جمع القرآن»، بمعنى: حفظ القرآن في الصدر استظهاراً . ويدل على ذلك النص الذي رواه عن الرسول (ص) في دفن شهداء أحد ، والذي يقول فيه : «وانظروا إلى أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه في القبر» (٣). وإنما قدم النبي (ص) أحفظهم للقرآن ، جرياً على منهجه في تقديم القرأة من أصحابه ، ومنحهم امتيازات خاصة ،كالتأمير في الغزو ونحوه . وكانوا في دفن شهداء أحد يجعلون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد (٤) .

ويعضد حمل اصطلاح الجمع على هذه الدلالة – أي الحفظ في الصدر– مابيّنه ابن اسحق في موضع آخر من سيرته ،عن غلام مسلم يسمى «مجمّعاً»، فقد قال : «وكان مجمّع غلاماً حدثاً قد جمع من القرآن أكثره ، وكان يصلي بهم فيه». وهذا يعني أنه كان يحفظ أكثر القرآن عن ظهر قلب ، بدليل قوله بعدُ «وكان يصلي بهم فيه» . ومفهوم الجمع بهذا المعنى احد مفهومين في اصطلاح علوم القرآن وتاريخه خاصة ،والاخر : كتابته آيات وسوراً(٥).

• • •

أما فيما يتعلق بتأثير القرآن في النفوس، فقد ورد في السيرة ما يدل على ذلك الأثر الكبير والتأثير البليغ الذي طبعه القرآن في نفوس سامعيه سواء أكانوا من المشركين أم كانوا من أهل الكتاب أم من المسلمين. ويمكن أن نتبين هذا من خلال القصص الذي ورد في مواقف متعددة عند ظهور الاسلام وبدء دعوته .

من ذلك أن ابن اسحق روى بسنده عن ابن شهاب الزهري ما يكشف عن حقيقة من تلك الحقائق التي رافقت نزول القرآن، وهي استماع المشركين سراً وجهراً إلى قراءة

---

(١) نفسها : ٤٠ .
(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٦٤٨/٤ .
(٣) السيرة ٦١٢/٣ .
(٤) المصدر نفسه : المكان نفسه .
(٥) الزرقاني : مناهل العرفان ٢٣٢/١ .

النبي (ص) وإعجابهم بما يقرأ، ثم صدهم عنه تعصباً عليه وحسداً له. فقد ذكر ان أبا سفيان وأبا جهل والأخنس بن شريق خرجوا ذات ليلة ليستمعوا القرآن من رسول الله (ص) وهو يصلي من الليل في بيته، دون أن يعلم بعضهم ببعض. وباتوا على تلك الحال يستمعون إليه، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا والتقوا في الطرقات صدفة، فتلاوموا على ما فعلوا واتفقوا على ألا يعودوا إلى ذلك حتى لا يقعوا في مشاكل إذا رآهم بعض سفهائهم، ثم انصرفوا. غير أنهم لم يلبثوا أن عادوا إلى ذلك في الليلة الثانية، ثم التقوا وتلاوموا وعزموا على ألا يعودوا، وعادوا من جديد في الليلة الثالثة. وأخيراً اتفقوا على أن يتعاهدوا على عدم المجيء.

وفي الصباح أتى الأخنس أبا جهل فدخل عليه بيته، فقال يا ابا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فأظهر له أبو جهل ما يدل على دخيلة نفسه تجاه النبي (ص) ودعوته، إذ قال: «ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبدمناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا وأعطينا. حتى إذا تحاذينا على الرُكب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدّقه» فقام من عنده الأخنس وتركه (١).

وتنقل لنا السيرة صورة أخرى اكثر دلالة، من هذه التي أوردنا آنفاً، على حرص المشركين على ألا يسمع بعضهم بعضاً شيئاً من القرآن مخافة أن يؤمنوا به. ومع ذلك لم يجد هذا العذل الشديد فتيلاً في صرف الذين في قلوبهم حياة ولديهم عزم، عن الايمان. والمثال الذي تسوقه السيرة دليلاً على ذلك (قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي). فقد ذكر ابن اسحق تحت هذا العنوان، أن قريشاً كانت تحذر صحبها ومن قدم عليها من العرب من سماع القرآن وكلام النبي عليه الصلاة والسلام.

فلما قدم الطفيل بن عمرو الدوسي مكة — وكان رجلاً شريفاً لبيباً — حذره رجال من قريش من النبي (ص)، ووصفوا له القرآن بأنه «كالسحر يفرق بين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته»، وحذروه من الانصات إليه وسماع القرآن منه، حتى إنه اقتنع بذلك ووضع الكرسف — القطن — في أذنيه خشية سماعه. غير أن ذلك لم يفده شيئاً، إذ التقى برسول الله (ص) في المسجد الحرام وهو قائم يصلي، فإذا بتلاوته،

(١) السيرة ١/٣٠٧—٣٠٨

القرآن تنفذ إلى أعماق نفسه بعد أن تجاوزت ذلك الذي وضعه في أذنيه. وإذا به يصف ذلك الكلام الذي سمعه بقوله: «فسمعت كلاماً حسناً». وحين انصرف رسول الله إلى بيته تبعه الطفيل ودخل عليه بيته، وشرح له قصته وطلب إليه أن يعرض عليه أمره. قال : «فعرض عليّ رسول الله (ص) الاسلام، وتلا عليّ القرآن ، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه. قال : فأسلمت وشهدت شهادة الحق» (١). وهذه شهادة شاعر معروف لدى القوم وجيه فيهم، وهي تدل بلا ريب على روعة القرآن وتأثيره الكبير في النفوس والقلوب.

ومثالها في بيان أثر القرآن، قصة إسلام عمر بن الخطاب (رض) حين سمع باسلام أخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد. وكان خبّاب بن الأرتّ يختلف اليهما يقرئهما القرآن. فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد مقارعة النبي (ص) ورهط من أصحابه، يبلغون الأربعين ما بين رجل وامرأة، عرف انهم اجتمعوا في بيت عند الصفا. فلقيه نعيم بن عبدالله ونهاه عن مقاتلتهم.وأخبره باسلام أخته وزوجها. فرجع عمر متوجهاً اليهما وعندهما خبّاب معه صحيفة فيها سورة «طه» يقرئهما إياها. فلما أحسوا بقدوم عمر أخفوا الصحيفة. وآذى عمر ختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته لتكفه عن زوجها سعيد فضربها حتّى شجها . فلما فعل ذلك قالت : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك! فلما رأى ما حل بهما من صنعه ندم على ذلك ، وطلب منها الصحيفة التي سمعهم يقرأون. فطلبت إليه الاغتسال لأنه نجس على شركه، وأنه لا يمسها إلا المطهرون. فقام عمر واغتسل، فأعطته الصحيفة فقرأها، فلما قرأ صدراً منها قال : «ما أحسن هذا الكلام وأكرمه»، وعندها خرج خبّاب من مخبئه وشجعه على أن يسلم، فمضى عمر إلى النبي (ص) فأسلم (٢).

وهو الحديث الذي اشتهر وشاع بين الناس الذين كتبوا عن اسلام عمر.

وفي رواية أخرى يرويها ابن اسحق بسنده عن ابن ابي نجيح عن أصحابه: عطاء ومجاهد : أن عمر بن الخطاب دخل المسجد الحرام ليطوف، فإذا رسول الله (ص) يصلي كعادته بين الحجر الأسود والركن اليماني، قال : «فقلت :لئن دنوت منه استمع منه لأروّعنه

---

(١) السيرة ١/٢٥٦ – ٢٥٧ .

(٢) السيرة ١/٢٣١ .

فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها ، فجعلت أمشي رويداً ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يقرأ القرآن.. قال : فلما سمعت القرآن رقّ له قلبي فبكيت ودخلني الاسلام» (١).

وأياً من هاتين القصتين هو الواقع ، فإنه بلا ريب يكشف ، كما تكشف بقية القصص ، عن الأثر البليغ الذي أحدثه القرآن في نفوس قريش وبقية العرب ، إلى الحد الذي صار فيه سبباً في إسلام كثير منهم ، على رغم ما كانوا ينطوون عليه — قبل إسلامهم — من العداء الظاهر والكره الشديد للاسلام. وبذلك تعد هذه الأحداث دليلاً على إعجاز القرآن المبني على التذوق الفطري السليقي له.

ومثل ذلك أيضاً إعجاب أبي الوليد عتبة بن ربيعة بالقرآن إعجاباً ملك عليه حواسه ومشاعره ، وذلك حين تلا عليه النبي (ص) آيات من سورة فصلت. رجع بعدها إلى قومه — وقد أرسلوه ليترك النبي (ص) دعوته — وهو لا يخفي ذلك الاعجاب الشديد الآسر ، بل انبرى يقول : «قد سمعت قولاً ، والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهره على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم» (٢) ؛ ولعل تأثير القرآن في نفس النجاشي عاهل الحبشة وبكائه عند سماعه إياه ، من أهم الأحداث التأريخية في حياة المسلمين أول دعوتهم. إذ كان هذا التأثير السبب في حمايته لهم عند هجرتهم إلى بلاده ، وقبوله إيواءهم في ارضه ، وردّه المشركين اللذين أرسلا لأخذاهم ويعيداهم إلى قومهما ليفتنوهم ، او يفتنوهم ولهذه الحادثة دلالة خاصة أيضاً ، وهي أنها تكشف عن تأثر رجل من أهل الكتاب بالقرآن وشعوره أن هذا الكلام صادر عن ربوبية : وقد روى

(١) السيرة ١/٢٣٢ .

(٢) السيرة ١/١٨٩-١٩١. وانظر في ١/١٧٤-١٧٥ تخبطهم في حقيقة القرآن وقولهم للوليد ابن المغيرة ، نقول : كاهن ... وتارة : ساحر... وأخرى : شاعر ، فكان الوليد ينفي ذلك ويقول : ليس القرآن من هذا كله : والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة .

ابن أسحق ذلك بسنده عن أم سلمة زوج الرسول (ص) في قصة هجرة المسلمين إلى الحبشة ، وفيها يخاطب النجاشي جعفر بن أبي طالب (رض) بقوله : هل معك مما جاء – يقصد النبي (ص) – عن الله من شيء؟ فيقول له جعفر : نعم .فيقول له النجاشي : فاقرأه علي، فيقرأ عليه صدراً من سورة مريم ، أومما يسميها ابن أسحق «كهيعص» ، فيبكي النجاشي حتى تخضل لحيته، وتبكي معه أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ماتلا عليهم : ثم يقول للمشركين : «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لاأسلمهم إليكما ، ولا يُكادون» (١) .

وبذلك أورد ابن إسحق في السيرة مادة غنية وفيرة تتعلق بالبدايات الأولى للقرآن، تتعلق بالإيحاء به ونزوله والجهر به وتأثيره ، تعد بحق من أصل الدراسات القرآنية، ومصدراً من المصادر المهمة التي يرجع إليها. وهي فوق ذلك دليل من دلائل اعجاز القرآن ، التي «يظهر فيها أثر الاعجاز على الذوق الفطري عند العرب في الجاهلية»(٢) ويبدو ذلك فيما أوردناه من اسلام عمر والطفيل بن عمرو الدوسي وإعجاب عتبة إعجاباً كبيراً بالقرآن وما إليها .

(٢)

النزول :

تعد سيرة ابن إسحق أقدم المصادر التي وصلت إلينا في نزول القرآن (٣) ، فهي مصدر أصيل في هذا الموضوع ؛ إذ تضمنت من المعلومات المتعلقة بالنزول مالم يتضمنه أي مصدر قبلها ، بل ربما بعدها أيضاً . وتشمل مادة النزول في السيرة : سبب النزول ومكانه وزمانه ، وهي المرادة بكلمة النزول في الاصطلاح (٤) .

ويتلخص منهج صاحب السيرة في تحرير مادتها في أنه يسرد حادثة تتعلق بحياة الرسول (ص) أو أصحابه أو من له وشيجة بدعوته : ممن وقف في وجهها ، أو انخرط في صفها وهو على نفاق وكيد ، أو غير ذلك من أمور . ثم يورد مانزل من الآي مما له تعلق بتلك الحادثة التي سردها . ولنضرب لذلك مثلاً ماأورده عن سبب نزول سورة الضحى تحت عنوان : (إسلام خديجة بنت خويلد) . فبعد أن تحدث عن إيمان السيدة خديجة عليها السلام ، وتصديقها النبي (ص) ومؤازرتها إياه وتخفيفها عنه ، ذكر أن الوحي فتر عن رسول الله (ص) فترة

---

(١) السيرة ٢٢٤/١ .

(٢) مالك بن بني : الظاهرة القرآنية ص ٦٤ .

(٣) الجويني : مناهج في التفسير ص ٢٥ .

(٤) الزرقاني : مناهل العرفان ٤٧١/١ .

من الزمن حتى شق ذلك عليه وأحزنه . فجاءه جبريل بسورة الضحى ، يقسم له ربه فيها، وهو الذي أكرمه بما أكرمه ، أنه تعالى ماودعه، وما قلاه، فقال : «والضحى .والليل إذا سجى . ماودعك ربك وما قلى» إلى آخر السورة (١) .

ويلحظ أن صاحب السيرة – كسائر القدامى – قد يذكر النزول ويريد به أحد أمرين : إما سبب نزول الآية، أو المعنى المراد منها . وهذا فيما يذكر ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) متعارف عليه لدى المفسرين، إذ يقول أحدهم : «نزلت هذه الآية في كذا ، ويراد تارة أنه سبب النزول ،ويراد به تارة أن هذا داخل في الآيةوإن لم يكن السبب، كما تقول عني بهذه الآية كذا» (٢) . وهذا ما يتجلى في قوله ابن اسحق تحت عنوان : «ما نزل من البقرة في المنافقين ويهود» : «ففي هؤلاء من أحبار يهود والمنافقين من الأوس والخزرج نزل صدر سورة البقرة إلى المئة، فيما بلغني..» (٣).

فمراده بعبارة : «نزل صدر سورة البقرة إلى المئة منها ...» أنها في معانيها ودلالتها تتناول اليهود والمنافقين وتتحدث عنهم وتبين من أحوالهم وسوء عقائدهم ، لا أنهم السبب المباشر في نزولها ، كما تنزل الآي مثلا جواباً عن سؤال، أو دحضاً لمفهوم خاطىء أو عقيدة مشتطة ، أو عند وقوع حادثة لها مساس بحياة المسلمين الاجتماعية أو الشرعية ، وذلك جلي في كثير من الآيات التي نزلت ، كآية السؤال عن الأهلّة (٤) ، وما يتعلق بالأنعام التي كان الجاهليون يحرمون أكلها أو ركوبها ، وهي : البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي (٥)، أو الآيات التي تنفي أن تكون الملائكة بنات الله (٦) ، وكالآية التي نزلت في الظهار (٧)، ونحوها كثير في القرآن . فهذه الآي نزلت بأسباب مباشرة تتعلق بأسئلة أو أحداث أو عقائد . وهذا الضرب من النزول يضع ابن اسحق أيدينا عليه أيضاً بوضوح،

(١) السيرة ١/١٥٩ .
(٢) ابن تيمية : مقدمة في أصول التفسير ص ٤٨ .
وهاتان الوجهتان نجدهما أيضاً في تفسير الطبري (ت ٣١٠)١/١١٠ – ١١١. وانظر : رسالتنا للدكتوراه : منهج الطبري في تفسير القرآن ص ١٩١ – ١٩٢ .
(٣) السيرة ٢/٣٧٢
(٤) البقرة : ١٨٩. وكذلك السؤال عن الروح في الاسراء : ٨٥ .
(٥) المائدة : ١٠٣ .
(٦) الأنبياء : ٢٦ – ٢٩، وينسب ذلك إلى قبيلة خزاعة .انظر تفسير النسفي ٣/٧٦.
(٧) المجادلة ١ وما بعدها .

وذلك في حديثه عن أحبار اليهود وحسدهم لرسول الله (ص) . غير أنه يخصص ما يتعلق بأحوال الناس وسؤالاتهم بهم، مع أنه عام فيهم وفي غيرهم ، سو اء أتعلق الأمر بالمسلمين أم بالمشركين.

يقول ابن اسحق (١) : «وكانت أحبار يهودهم الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعنتونه، ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل، فكان القرآن ينزل فيهم وفيما يسألون عنه إلا قليلاً من المسائل في الحلال والحرام».

ويضع ابن اسحق أيدينا على مسألة أخرى تتعلق بالنزول ، تلك هي نزول آيتين في موضوع واحد، وهما في المصحف في موضعين مختلفين. فقد ذكر عند حديثه عن هجرة النبي (ص) ، أنه مما أنزل في ذلك اليوم : «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» ، وقوله عز وجل: «أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون. قل تربصوا فإني معكم من المتربصين».

ومراده من عبارة « ومما نزل في ذلك اليوم » أي : مما نزل من القرآن في بيان ذلك اليوم ووصف أحداثه وما جرى فيه لرسول الله (ص) ، لا أنّ هاتين الآيتين نزلتا في ظرف ذلك اليوم ، إذ أن الأولى منها في سورة الأنفال (٢) والثانية في سورة الطور (٣)، والأنفال مدنية والطور مكية (٤) ، وهي من آخر مانزل من القرآن المكي ، والأنفال من أوائل القرآن المدني (٥).

ويلحظ على ابن اسحق أنه يعنى بجمع الروايات المتعلقة بالنزول دون تمحيصها والموازنة بينها بترجيح أو تضعيف ، وكأن هذا منهج لأكثر معاصريه في تدوين الروايات ، بل إنه منهج للكثير ممن عاصروا الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ. وانما يكتفي ابن اسحق عادة بايرادها دون التعليق عليها بشيء ، او ينتهي عند ايكال علم ذلك إلى الله تعالى . ويتجلى

---

(١) السيرة .

(٢) آية : ٣٠ .

(٣) آية : ٣٠ — ٣١ .

(٤) الفيروزآبادي : بصائر ذوي التمييز ١/٩٨ — ٩٩ .

(٥) كما يتبين ذلك من ترتيب السور المكية والمدنية من حيث النزول .انظر المصدر نفسه: المكان نفسه .

ذلك مثلاً في بيانه لسبب نزول الآية (٧) من سورة آل عمران ، إذ أورد عدة روايات في نزولها دون أن يوازن بينها (١) ، كما أورد في نزول الاية (١١) من المائدة روايتين أيضاً وقال : « فالله اعلم أى ذلك كان » (٢). ونراه يؤرخ لنزول الايات ، ملاحظاً الناحية الزمنية فيه ، وارتباطها بالأحداث التي جرت عند ظهور الاسلام . وهو يسند الخبر إلى مصدره الذي استقى منه مادته ، كقوله في « أذن للذين يقاتلون » إنها أول ماأنزل من القرآن في الاذن للنبي (ص) في الحرب لمن بغى عليهم ، على ما بيناه سالفاً. ثم ذكر أنه نزل بعد ذلك قوله تعالى : «وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة » (٣).

وإلى عنايته بزمان النزول ، نراه يعنى بمكان النزول . فيروي مثلا أن سورة (الفتح) نزلت بين مكة والمدينة حين كان الرسول (ص) قافلا بعد صلح الحديبية وأداء الحج(٤) . ويلحظ أن ابن اسحق يضفي على النزول مسحة أدبية حين يطلق مراراً على الآية النازلة في احداث معينة اسم القصة (٥)،من حيث ان تلك الآي كانت تقص وتحكي ماحصل من تلك الأحداث ، وقد تأثره من بعد كبار المفسرين كالطبري والطوسي والطبرسي: فسموا النزول قصة (٦) في غير موضع من تفاسيرهم ، كما سموه : النزول في مواضع أخرى .

ومما هو جدير بالذكر هنا ، أن السهيلي تعقب ابن اسحق في بعض مارواه في أسباب النزول (٧)، فذكر في سبب نزول آية الروح ، وهي قوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » (٨) : « أن الرواية عن ابن اسحق تدل على خلاف ماروى غيره من ان يهود قالت لقريش : اسألوه عن الروح ، فإن

---

(١) السيرة ٢/٣٨٨ – ٣٨٩ .
(٢) السيرة ٣/٦٩٣ .
(٣) البقرة : ١٩٣ .
(٤) السيرة ٣/٧٨٤
(٥) السيرة ٢/٣٨٣ ، ٣٩١ .
(٦) انظر : جامع البيان للطبري ٢/١١ من المحققة، والتبيان للطوسي ٣/١٧، ٢٢، ومجمع البيان للطبرسي ٢/٢٠٠ .
(٧) السيرة ١/١٩٦ .
(٨) الاسراء : ٨٥ .

أخبركم به فليس بنبي ، وان لم يخبركم فهو نبي . وقال ابن اسحق فيما تقدم من الحديث اسألوه عن الرجل الطواف وعن الفتية وعن الروح ، فإن اخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإلا فالرجل متقول ، فسوّى في الخبر بين الروح وغيره » (١). وهذا الذي عقب عليه السهيلي من قول ابن اسحق رواه الطبري (٢) عن ابن اسحق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس ، دون أن يعلق عليه بشيء . وعلى كل حال فإن الرواية الأخرى المغايرة لرواية ابن اسحق ، وهي التي اشار اليها السهيلي ، أوردها الزمخشري في تفسيره (٣) ، فقال : « بعثت اليهود إلى قريش أن سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح ، فإن أجاب عنها أو سكت ، فليس بنبي . وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي . فبيّن لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم ». كما أشار إلى ذلك الطوسي (٤) فقال : « وإنما عدل عن جوابهم لأنهم وجدوا في كتابهم أنه إن اجاب عن الروح فليس بنبي ، فأراد الله ان يصدق نبوته بامتناعه عن الجواب . ويقوي ذلك قوله : « وماأوتيتم من العلم إلا قليلاً » أي لم أعط من العلم إلا شيئاً يسيراً، والاكثر لاأعلمه؛لان معلومات الله لانهاية لها».

(٣)

التفسير :

يكوّن التفسير جانباً مهماً من جوانب الدراسات القرآنية في السيرة النبوية . وقد عني به كلا المؤلفين الجليلين ابن اسحق وابن هشام عناية فائقة ، وكان لكل منهما جهده في ذلك وفضله ، بل وميزته التي امتاز بها على صاحبه .

فقد حفلت السيرة بتفسير كثير من آي القرآن ، وقد نثره ابن اسحق في ثنايا سيرته ؛ إذ لم يكن مقصوداً لذاته ، وإنما كان يصحب بيانه لنزول الآي ، من حيث أسبابها أو زمانها أو مكانها . فكان يذكر النزول ثم يورد التفسير :

ولما كانت الأسباب متفرقة تفرّق نزول الآي ، فقد تفرقت أيضاً مادة التفسير المصاحبة

---

(١) السهيلي : الروض الأنف ١٨٣/٣-١٨٤ .

(٢) جامع البيان عند تفسير الاية ٨٥ من الاسراء .

(٣) الكشاف ٢٤٥/٢ .

(٤) التبيان ٥١٥/٦ .

لها هنا وهناك في كتاب السيرة . وكان ابن اسحق يورد التفسير بعد النزول مراعياً فيه الايجاز ، وبيان معاني الآي على وجه الاجمال ، دون الولوج في التفاصيل ، او ايراد الوجوه المتعددة والروايات المختلفة المروية عن الصحابة او التابعين او اتباعهم ممن لقيهم وسمع منهم .

وآية ذلك ماأورده من تفسير للآي تحت عنوان : (مانزل من البقرة في المنافقين واليهود) ؛ إذ بيّن أولاً ان صدر سورة البقرة إلى المئة منها نزل فيما بلغهُ في أحبار يهود والمنافقين من الأوس والخزرج . ثم طفق بعد ذلك يفسر هذه الايات : « الم . ذلك الكتاب لاريب فيه . هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ...» فيقول : « ألم . ذلك الكتاب لاريب فيه »: « أى لاشك فيه »، «هدى للمتقين» : «أي الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك مايعرفون من الهدى ويرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه» وهذا كما ترى تفسير للتقوى . ثم يقول: « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون»: «أى يقيمون الصلاة بفرضها، ويؤتون الزكاة احتساباً لها»(١).

ويستمر في تفسير بقية الآيات على هذا المنوال من الايجاز ، بل الاجتزاء بتفسير بعض العبارات دون بعض ، اذ يلحظ مثلا أنه لم يفسر هنا « يؤمنون بالغيب » وفسّر مابعدها من إقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وكأنه وجد أن هذه العبارة لاتحتاج إلى تفسير وبيان لظهورها ووضوحها .

فهذا اسلوب من اساليبه في التفسير ، والأسلوب الاخر ذو طابع أدبي واضح ، يتلاءم والسمة العامة لاسلوبه في تحرير السيرة ، وهي كتابتها بأسلوب أدبي مشرق متين . ويتجلى هذا الاسلوب الادبي في التفسير . في تقديمه للايات ـ لغرض تفسيرها ـ بما يناسبها من العبارات الأدبية الوجيزة المبينة لمفادها العام، ثم لمراد الاية أو الآيات التي قدم لها بذلك الشرح ، حتى ان القارىء قد يظن أنه لواحد من اهل هذا العصر او العصر العباسي في عهده الذهبي ، لما يرى من حسن عبارته وجمال تعبيره .

فهو على سبيل المثال يتحدث عن (نزول سورة الانفال) ، فيقول : « فلما انقضى أمر بدر ، أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها. فكان مما نزل منها في اختلافهم في النفل حين اختلفوا فيه : « يسألونك عن الانفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين» ...

(١) السيرة ١/٣٧٢ ـ ٣٧٣ .

ثم ذكر القوم ومسيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرف القوم ان قريشاً قد ساروا اليهم. وانما خرجوا يريدون العير طمعاً في الغنيمة، فقال: «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ماتبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون». أي: كراهية للقاء العدو، وإنكاراً لمسير قريش حين ذكروا لهم ....: ثم قال تعالى في رَمْي رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالحصباء من يده حين رماهم: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى»، أي: لم يكن ذلك برميتك لولا الذي جعل الله فيها من نصرك، وما القي في صدور عدوك منها حين هزمهم الله ..... ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعمته عليه حين مكر به القوم ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه: «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» أي: مكرتُ بهم بكيدي المتين حتى خلصتك منهم» (١).

طرق التفسير:

تلونت مادة التفسير في السيرة النبوية، فكانت صنوفاً أربعة، وقد استوفت طرق التفسير وأساليبه كلها، على تفاوت بينها في مقدار كل لون منها. وذلك أنها تضمنت: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالمأثور، وتفسير القرآن باللغة، وملامح من تفسير القرآن بالرأي: وهذه الانواع الأربعة هي التي عليها المدار في طرق التفسير، وبحث الباحثين فيه انما يدور عليها ويتناولها بالدراسة والبيان:

(أ) فأما تفسير القرآن بالقرآن: فله عند ابن اسحق أثارة من قول في وقوفه عند الآية السابعة من آل عمران – آية المحكم والمتشابه من القرآن – اذ نراه يقول في وصف أهل العلم: «ثم ردوا تأويل المتشابه على ماعرفوا من تأويل المحكمة التي لاتأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد، واتسق بقولهم الكتاب، وصدّق بعضه بعضاً، فنفذت به الحجة وظهر به العذر..»(٢). وهذا توجيه للآية هداه اليه النص القرآني. أما ماعدا ذلك من نصوص تطبيقية عملية، فلا نكاد نعثر فيها على مايشعرنا بهذا الأسلوب من أساليب تفسير القرآن، وإنما الذي يبدو جلياً ماأورده ابن هشام تعليقاً وتعقيباً على ماذكره ابن اسحق في سيرته من أسباب النزول وغيرها: اذ كان يتناول طائفة من المفردات في الآيات التي يوردها ابن إسحق، بالشرح والبيان، ثم يحتج لها في جمله ما يحتج به، بآيات أخرى وردت فيها

(١) السيرة ١/٤٨٩-٤٩١.
(٢) السيرة ٢/٤١٦.

تلك المفردات على ذلك الحد من الاستعمال والمعنى . من ذلك ان ابن هشام فسر الإفك بالكذب في قوله تعالى : « ويل لكل أفاك ثيم »(١) ، واستدل له بقوله عز وجل في آية الصافات (٢) : « ألا إنهم من إفكهم ليقولون».

وذكر ابن اسحق أن الله عز وتعالى أنزل في ابي جهل بن هشام : « أرأيت الذي ينهى عبداً اذا صلى» إلى قوله: «فليدع ناديه. سندع الزبانيه. كلا لاتطعه واسجد واقترب» . وهو ماورد في سورة العلق (٣) . فعقب ابن هشام على ذلك بقوله : « ..... والنادي : المجلس الذي يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورهم » ، واحتج له بما ورد في سورة العنكبوت (٤) ، فقال : « وفي كتاب الله تعالى : « وتأتون في ناديكم المنكر » .

بل انه يوالي الاستشهاد والاحتجاج له بالقرآن ، فيقول : « وهو الندي » . وبعد أن يحتج له ببيت شعر لعبيد بن الأبرص ، يستدل له بما ورد في سورة مريم (٥) ، فيقول :« وفي كتاب الله تعالى : « وأحسن نديا» .

وحين يقدر المحذوف في « فليدع ناديه » اي : أهل ناديه . ينظر له بما ورد في سورة يوسف (٦) ، فيقول :« كما قال تعالى : « اسأل القرية» يريد : أهل القرية »(٧) . وبذلك فإن سيرة ابن هشام من اقدم المصادر التي عنيت بتفسير القرآن بالقرآن .

(ب) وأما تفسير القرآن بالمأثور، فهو وإن كان قليلا نسبياً ، الا أنه متنوع ، اذ له صور ومصادر كثيرة . فهو أما ان يروى عن النبي (ص) أو أحد الصحابة أو التابعين أو أهل البيت. فابن اسحق يروي مأثوراً عن النبي (ص) في تفسير القرآن، وبخاصة تفسير الغريب . وهو في كل الحالات يورد ذلك في اعقاب بيانه لأسباب النزول ويسوقه بسنده عن الصحابة عن النبي (ص) .

---

(١) الجاثية : ٧ .
(٢) آية : ١٥١ .
(٣) الآيات : من ٩ – ١٩ .
(٤) آية : ٢٩ .
(٥) آية : ٧٣ .
(٦) آية : ٨٢ .
(٧) السيرة ٢٠٤/١ – ٢٠٥ .

من ذلك روايته معنى « الكوثر » بسنده عن النبي (ص) عند وقوفه على (نزول سورة الكوثر) اذ نراه يقول : « وكان العاصي بن وائل السهمي – فيما بلغني – اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دعوه ، فإنما هو رجل أبتر لاعقب له ، لو قد مات لانقطع ذكره واسترحتم منه . فأنزل الله في ذلك : « إنا أعطيناك الكوثر » ، ماهو خير لك من الدنيا وما فيها ، والكوثر : العظيم » ، ثم يقول : « حدثني جعفر بن عمرو عن عبدالله بن مسلم أخي محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل له : يارسول الله ماالكوثر الذي أعطاك الله ؟ قال : نهر كما بين صنعاء إلى أيلة ، آنيته كعدد نجوم السماء ، ترده طيور لها اعناق كأعناق الإبل ، قال : يقول عمر ابن الخطاب : إنها يارسول الله لناعمة ، قال آكلها أنعم منها . ثم قال : ابن اسحق بعد ذلك : « وقد سمعت في هذا الحديث أو غيره أنه قال صلى الله عليه وسلم : من شرب منه لايظمأ أبداً » (١) :

وهذا الذي أورده صاحب السيرة أحد وجهين في تأويل « الكوثر » في الآية ، والآخر : الخير العظيم الذي أعطيه النبي (ص) (٢) ، فهو على هذا « فوعل » من الكثرة ، وهو المفرط الكثرة. وقد روي عن ابن عباس أنه فسره بهذا التفسير ، فقال : هو الخير الكثير ، فلما قال له سعيد ابن جبير – مشيرا إلى الخبر – ان ناسا يقولون هو نهر في الجنة ، قال له ابن عباس : هو من الخير الكثير (٣) . فجعل لهذا التفسير عمومية وشمولا بحيث يتضمن ماروي في ذلك من أنه نهر في الجنة . وكأن ليس بين التأويلين من تضاد ، بل بينهما عموم وخصوص. وقد يبهم ابن اسحق أحد الرواة في سند التفسير ، كالذي رواه عن الصحابي الجليل عبدالله ابن مسعود في نزول قوله تعالى : « ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » (٤) اذ قال : « وحدثني من لا أتهم عن عبدالله بن مسعود أنه سئل عن هؤلاء الآيات : « ولاتحسبن الذين قتلوا ....» فقال : أما إنا قد سألنا عنها ، فقيل لنا : انه لما أصيب إخوانكم من المسلمين بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل

---

(١) السيرة ١/٢٦٥ – ٢٦٦ .
(٢) الراغب : مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٤٣ .
(٣) الزمخشري : الكشاف ٣/٣٦٢ .
(٤) آل عمران : ١٦٩

ثمارها .... » (١) وهذا اشبه بانقطاع السند ؛ لأنه لاسبيل إلى معرفة الراوي الذي اخذ الرواية عن ابن مسعود، الا أنه على أية حال موثوق عنده ، يدل عليه قوله فيه : «من لاأتهم » ولانحسب أنه يدلسه (٢) بهذا الكلام؛ خوفاً من ظهوره وانكشاف أمره ان كان ضعيفا أو نحو ذلك ؛ اذ لادليل لنا عليه ، والأصل يقتضي ألا تظن بابن إسحق هذا الظن ؛ إذ مع الخلاف في مقدار توثيقه ، فإنه كما يذكر السهيلي (٣) : « ثبت في الحديث عند اكثر العلماء ذكره البخاري في التاريخ ، وحكى عن سفيان بن عيينه وعن يحيي بن معين وأحمد بن حنبل ويحيي بن سعيد القطان أنهم وثقوا ابن اسحق واحتجوا بحديثه » .

فيتحمل ، على هذا، أنه نسي من هو الذي حدثه بحديث ابن مسعود الذي أورد .

• • •

وينقل لنا ابن اسحق (٤) صورة مما كان يجري بين أهل العلم من التابعين من أسئلة حول وجوه التفسير . وكيف أن أحدهم كان اذا غم عليه معنى آية انبرى يلتمسه لدى آخر ممن يثق بعلمه . وآية ذلك مارواه عن الزهري من أنه دخل على عروة بن الزبير يوماً فوجده يكتب كتاباً إلى ابن أبي هنيدة صاحب الوليد بن عبد الملك، وقد كتب إليه يسأله عن معنى قول الله تعالى : «ياأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن وآتوهم ماانفقوا ولاجناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولاتمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ماأنفقتم وليسألوا ماانفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم » (٥) . قال فكتب إليه عروة بن الزبير بما مفاده : أن النبي (ص) كان قد صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه، فلما هاجر النساء إلى الله ورسوله، أبى الله أن يرددن إلى المشركين ،اذا تبين للمسلمين بعد امتحانهن أنهن جئن رغبة في الاسلام . وأمر برد مهورهن إليهم اذا رد

(١) السير ٦٣٣/٣ .

(٢) على أساس أن من صور تدليس الشيوخ : أن يصف الشيخ الذي سمع منه الحديث بما لا يعرف به ، كي لايعرف .انظر : مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص ٣٥ .

(٣) الروض الأنف ٣٧/١ - ٣٨ .

(٤) السيرة ٧٨٩/٣ - ٧٩٠

(٥) الممتحنة : ١٠ .

المشركون على المسلمين مهورمن حبسوا من نسائهم. فذلك حكم الله بينهم. فأبقى رسول الله (ص) النساء ورد الرجال إلى مكة، وطبق حكم الله في مهورهن. ولولا هذا الأمر لرد النبي (ص) النساء كما رد الرجال ،ولولا الهدنة والعهد الذي بينه وبين قريش لأبقى النساء دون أن يرد لهن مهراً ،كما كان موقفه ممن هاجر من المسلمات قبل العهد .

وبذلك فسر عروة بن الزبير — وهو من أهل العلم — هذه الآية في ضوء نزولها وما أحاط بها من أحداث وملابسات .

ويبدو لنا من سؤال ابن اسحق لابن شهاب الزهري عن تفسير قوله تعالى : «وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ماأنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون »(١)، أنه كان يأخذ عنه التفسير ، اذ كان ابن شهاب علماً من أعلام الدين (٢)، وكان له تلامذة كثيرون يتلقون عنه ويأخذون العلم عنه (٣) : ولما كانت هذه الآية وردت عقب الآية التي فسرها عروة بن الزبير والتي أوردنا تفسيره لها آنفاً ،فان هذا الترتيب يؤدينا إلى الاعتقاد بأن مارواه ابن شهاب عن عروة في تفسير الآية الأولى ،إنما كان أيضاً جواباً عن سؤال ابن اسحق عن معنى تلك الآية. ولم يعدم ابن اسحق رواية التفسير عن واحد من أهل البيت الذي عاصروه والذين يشهد لهم بالعلم الغزير، بل نجده يروي عن محمد بن علي بن الحسين الملقب بالباقر ، في جملة ما يروي ،شيئاً يتعلق بمعاني بعض الآي. من ذلك روايته عنه الحديث المشهور (٤) :

«نصرت بالرعب، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأعطيت جوامع الكلم ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي، وأعطيت الشفاعة، خمس لم يؤتهن نبي قبلي» (٥) ، وذلك في تفسير قوله تعالى : «الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة

---

(١) نفسها : ١١ .

(٢) قال في ترجمته الخزرجي : «أحد الأئمة الاعلام ، وعالم الحجاز والشام» تذهيب تهذيب الكمال ٤٥٧/٢ .

(٣) منهم : أبان بن صالح وابن أبي عبلة وابن عيينة وابن جريج والليث ومالك .انظر : المصدر نفسه : المكان نفسه .

(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والدارمي بألفاظ فيها اختلاف يسير ، انظر : ونسنك ٢٧١/٢ رعب .

(٥) السيرة ٤٩٨/٢ .

صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين »(١) .
فهذا ماكان من منهج ابن اسحق في التفسير ، أما ابن هشام — مهذب السيرة — فإن جل عنايته توجهت نحو التفسير اللغوي للآي، الا أنه لم يعدم مع ذلك العناية بالمأثور ،على نحو تعقيبه على تفسير ابن اسحق للسلم في قوله عز وجل : «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها» (٢) ، فقد ذكر أن ابن اسحق فسرها بقوله : «إن دعوك إلى السلم على الاسلام فصالحهم عليه» . ثم حكى بعد ذلك ماروي عن الحسن البصري في معنى الآية، فقال : «وبلغني عن الحسن بن أبي الحسن البصري ،انه كان يقول: «وإن جنحوا للسلم» : للاسلام. وفي كتاب الله تعالى : «ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة» (٣)،ويقرأ : في السلم، وهو الاسلام »(٤) .

ومن ذلك تعقيبه على حديث ابن اسحق عن نزول قوله تعالى : «ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت»(٥)، اذ بين أن « الجبت —عند العرب —: ما عبد من دون الله تبارك وتعالى ، والطاغوت : كل ما أضل عن الحق ... » ثم قال مشيراً إلى رأي ابن أبي نجيح المفسر التابعي : «وبلغنا عن ابن ابي نجيح أنه قال: الجبت: السحر ، والطاغوت :الشيطان» (٦) .

(ج) التفسير باللغة: يعد هذا الضرب من التفسير امتداداً للمدرسة اللغوية ،التي افتتحها عبدالله بن عباس (٧) ، واستمراراً لها. تلك المدرسة التي اقتفى منهجها كبار اللغويين الذين فسروا القرآن ، ممن عاصر ابن هشام خاصة أو سبقه بزمن قصير ، كالكسائي والفراء والأخفش وأبي عبيدة . ناهيك أن ابن هشام أخذ التفسير وغيره (٨) عن أبي عبيدة سماعاً ،فتأثر بمنهجه اللغوي في التفسير ، وهو المنهج الذي يتجلى في كتابه المعروف المسمى

---

(١) الأنفال : ٦٦
(٢) الأنفال : ٦١
(٣) البقرة : ٢٠٨ .
(٤) السيرة ٢/٤٩٧ .
(٥) النساء : ٥١ .
(٦) السيرة ٢/٤٠٢ .
(٧) ويدل على هذا تفسيره غريب القرآن بالشعر القديم .انظر القالي: الأمالي٢/١١٢ ،والسيوطي: الاتقان ١/١٢٠ وما بعدها .
(٨) كأيام العرب في الجاهلية . انظر قصة داحس والغبراء في ١/١٨٤ — ١٨٥ من السيرة .

«مجاز القرآن» ، وآية هذا التأثر أنه استعمل نفس المصطلح الذي استعمله أبو عبيدة وهو «المجاز» في الدلالة على المعنى (١) . ومن هنا فإن ابن هشام امتاز على سلفه ابن اسحق في هذا الباب المهم من أبواب التفسير ، ذلك ان ابن اسحق وان كان يفسر الآي تفسيراً مبنياً في الغالب على معانيها التي تدل عليها ظواهرها ، ومن دون أن يتأولها بخلاف المتبادر منها ، معتمداً جانب الايجاز ، الا أنه مع هذا المنهج لم يكن يعنى بالاستشهاد اللغوي الذي صار فيما بعد عمدة التفسير اللغوي ، على حين عني به خلفه ابن هشام عناية كبيرة وبخاصة الشعر العربي القديم ، الذي أولاه اهتماماً فائقاً، وكرس له جهداً كبيراً .

فكثيراً مايعقب ابن هشام على مايورده ابن اسحق في أسباب نزول الآي أو تفسيرها ، ببيان معاني غريبها، والاحتجاج لها بالشعر القديم : قصيده ورجزه ،وخاصة أراجيز رؤبة بن العجاج . فهذا التفسير يجري غالباً مجرى الاستكمال لما يورده ابن اسحق من تفسير ، ببيان الحجة في تفسير الغريب بالشواهد الشعرية . من ذلك ماأورده في التعقيب على سرد ابن اسحق لقصة أصحاب الأخدود . فقد حكى ابن اسحق قصتهم ونزول قوله تعالى : «قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذهم عليها قعود . وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود. وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد» (٢) فيهم ، ثم قال: «الأخدود: الحفر المستطيل في الأرض كالخندق والجدول ونحوه .وجمعه : أخاديد . قال ذو الرمة — واسمه غيلان بن عقبة أحد بني عدي ....

من العراقية اللاتي يحل لها بين الفلاة وبين النخل أخدود

يعني : جدولا » (٣) .

وفي التفسير ، أورد ابن اسحق تفسيراً إجمالياً لسورة الفتح، ذكر فيه معنى جانب مما ورد في تلك السورة، فقال: «ثم ذكر محبسه وكفه عن القتال بعد الظفر منه بهم ، يعني النفر الذي أصاب منهم ، وكفهم عنه»، ثم قال : «وهو الذي كف أيديهم عنكم ....» ثم قال : «هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً أن يبلغ محله»(٤) .

---

(٢) السيرة ٣/٧٣١ .

(٣) البروج : ٤ — ٨

(٤) السيرة ١/٢٣ .

(٥) الآيتان : ٢٤ و ٢٥ من سورة الفتح .

فعقب ابن هشام على تفسير ابن اسحق الاجمالي هذا ، بتفسير لغريب النص الذي تناوله ابن اسحق بالشرح ، فقال : « المعكوف : المحبوس ، قال أعشى بني قيس بن ثعلبة :

وكأنّ السّموط عكّفه السلـ ... ـك بعطفيّ جيّداء أمّ غزال

وهذا البيت في قصيدة له » (١).

ولا يقف ابن هشام في عنايته بتفسير المفردات القرآنية تفسيرا لغوياً عند الشاهد الشعري القديم ، بل يتجاوزه الى كلام العرب وأقوالهم التي يتحاورون بها . من ذلك أنه ذكر النسيء عند العرب المشار اليه بقوله تعالى : « انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرّم الله » (٢) ، فقال : « ليواطئوا : ليوافقوا . والمواطأة : الموافقة ، تقول العرب : واطأتك على هذا الأمر ، أي : وافقتك عليه » (٣) .

وكان عمدة ابن هشام في التفسير اللغوي لغويين كبارا أوائل ، منهم من ذكرناه وهو أبو عبيدة (ت٢١٠هـ) ، ومنهم يونس بن حبيب (ت١٨٢هـ) ، وكذلك أبو زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ) .

ويلحظ أنه قد يروي عن واحد من هؤلاء ، وقد يروي عن اثنين منهم ، كروايته عن ابي عبيدة ويونس – ويلقبه النحوى أيضاً – أن «السّجيل» في قوله تعالى : « ترميهم بحجارة من سجّيل » يعني عند العرب : الشديد الصلب ، كقول رؤبة بن العجّاج :

ومسّهم مامسّ أصحاب الفيل ... ترميهم حجارة من سجّيل
ولعبت طير بهم أبابيل (٤) .

ومن روايته عن أبي زيد ماذكره في معنى واشتقاق « ايلاف » من قوله عز وجل : « لإيلاف قريش . إيلافهم رحلة الشتاء والصيف » (٥) ، اذ قال : « وإيلاف قريش

(١) السيرة ٧٨٥/٣
(٢) التوبة : ٣٧ .
(٣) السيرة ٢٨/١ .
(٤) السيرة ٣٦/١ .
(٥) قريش : ١ – ٢ .

إيلافهم »: الخروج إلى الشام في تجارتهم . وكانت لهم خرجتان : خرجة في الشتاء وخرجة في الصيف . أخبرني أبو زيد الأنصاري ان العرب تقول : ألفت الشيء إلفاً ، وآلفته إيلافاً ، في معنى واحد . وأنشدني لذي الرمة :

من المؤلفات الرمل أدماءُ حرة شعاعُ الضحى في لونها يتوضّح (١)

فأنت ترى من هذه الشواهد التي أوردناها آنفاً أن ثقافة ابن هشام اللغوية في التفسير ، مستقاة من منابع أصيلة ومصادر موثوقة هم اللغويون الكبار الذين ذكرناهم . ولما كان ابن هشام قد سمع من أبي عبيدة كثيراً من معاني المفردات الغريبة في القرآن وتأثربه ، فإنه يعد عندئذ مصدرا وثيقاً لما ورد عن أبي عبيدة ، وذلك يفسح المجال لمراجعة مارواه عنه ، على تفسير أبي عبيدة المسمى « مجاز القرآن » وعرضه عليه ، لمعرفة مالم يذكره أبو عبيدة منه . فيكون ابن هشام إذ ذاك مصدراً لهذه الطائفة من التفسير ، وللتفسير الذي أورده في المجاز ولكن في إيجاز .

وهذا مادفعني للقيام بهذه الدراسة المقارنة ، فاتضح لي أن هذا الذي سمعه ابن هشام من أبي عبيدة في التفسير ،منه ماهو وارد في المجاز مع زيادة فائدة فيما ورد في السيرة،ومنه مالم يذكره أبو عبيدة أصلاً فيه، وانما تفرد ابن هشام بروايته عنه مباشرة،من ذلك ماتعلق بآية الفتح :«لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين»(٢). فقد قال ابن هشام في تعليقه عليها : « حدثنا أبو عبيدة : أن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قدم المدينة : ألم تقل يارسول الله إنك تدخل مكة آمناً؟ قال : بلى، أفقلت لكم من عامي هذا ؟قالوا : لا، قال : فهو كما قال لي جبريل (٣). والمعروف أن قائل ذلك عمر بن الخطاب (رض) كما ورد في المصادر المعتمدة(٤). فهذا مالم يرد في المجاز.

وأمّاالذي تضمن زيادة على مافي المجاز فله مثل كثيرة :منها تفسير (اللينة) في قوله تعالى : « ماقطعتم من لينة » (٥)، فقد قال ابن هشام في السيرة: « اللينة من الألوان ،وهي مالم تكن برنية ولاعجوة من النخل فيما حدثنا أبو عبيدة»، وهو بمعنى ما ورد في المجاز وقريب جداً

(١) السيرة ١/٣٦ — ٣٧ .
(٢) الفتح : ٢٧ .
(٣) السيرة ٣/٧٩١ .
(٤) انظر مثلا :الطوسي : التبيان ٩/٣٣٥ وتفسير ابن كثير ٦/٣٥٨ .
(٥) الحشر : ٥ .

من لفظه(١) ،إلا أن شاهد ذي الرمةالذي ورد فيالسيرة هو غير الشاهد الذي ورد فيالمجاز إذ هو في السيرة:

كأنّ قتودي، فـــوقهــــــا عش طــائــر على لينـة سوقـــاء تهفو جنوبها(٢)

على حين هو في المجاز :

فوق لينة (٣)

هكذا ، وهو مقتطع من قول ذي الرمة:

طراق الخوافي مشرف فـــوق لينـــة ندى ليلة في ريشـــه يترقرق

هذه رواية الطبري (٤) والقرطبي(٥) والرواية في الديوان : ولينة ربعة .

وهناك خلاف بين السيرة والمجاز في دلالة الشاهد على معنى « النحب » في قوله تعالى : «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » ، ولايبعد أن تكون رواية ابن هشام عن أبي عبيدة في هذا المجال أدق وأضبط من رواية علي بن المغيرة الأثرم ، راوي المجاز (٦) ، وذلك لما عرف به ابن هشام من العلم والضبط ،وتكفيك شهرة سيرته، وتلقي الناس لها بالقبول والثقة على مر العصور.

ولعناية ابن هشام الكبيرة باستعمالات العرب في تفسير المفردات الغريبة في القرآن، نجده يخالف، ابن اسحق في تفسير شيء مما ورد في القرآن من هذا الغريب. من ذلك البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي ،وهي الأنعام التي كانت العرب تحرم أكل بعضها وركوب البعض الآخر، والتي ذكرتها آية المائدة (٧): «ماجعل من بحيرة ولاسائبة ولاوصيلة ولاحام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون» فقد خالف ابن اسحق في دلالة الأنعام الثلاثة الأول ووافقه في الحامي، واستند في هذه المخالفة إلى

---

(١) أبو عبيدة : مجاز القرآن ٢٥٦/١ .

(٢) السيرة ٦٨٥/٣ .

(٣) مجاز القرآن ٢٥٦/١ .

(٤) جامع البيان ٢٣/٢٨ بولاق

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٩/١٨ .

(٦) انظر سند روايته لهذا الكتاب في أول المجاز ١/١ .

(٧) هي الآية : ١٠٣ .

استعمالات العرب، وروى ذلك عن يونس بن حبيب النحوي وغيره(١). وبذلك كان منهج ابن هشام في التفسير ينبثق من موضوع عربية القرآن، وهو أنه كتاب الله المبين الذي نزل بلسان عربي مبين على النبي الكريم ، مصداقاً لقوله تعالى : «نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين» (٢). وهو المنهج الذي عني به غير واحد ممن عرض لبيان معاني القرآن ، وخاصة أبا عبيدة صاحب ابن هشام ، الذي كان لشدة عنايته بعربية القرآن ينكر وجود المعرب في القرآن ويعد قائل ذلك قد «أعظم القول» (٣)!

(٤)

دراسات قرآنية أخرى :

وثمة دراسات قرآنية أخرى عنيت بها السيرة النبوية، آثرنا أن نجمعها في صعيد واحد ولانفرد لكل منها عنواناً خاصاً به، نظراً لقلتها بالنسبة إلى ماأوردناه آنفاً من دراسات تتعلق بتاريخ القرآن ونزوله وتفسيره. وتتعلق هذه الدراسات القليلة بالقراءات ، والمبهمات القرآنية، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والمعرب في القرآن .

(أ) القراءات :

على رغم قلة القراءات القرآنية في السيرة النبوية، الا أنها لم تعدم مع ذلك الاشارة إلى مسائل مهمة تتعلق بهذا العلم الأصيل من علوم القرآن ،من مثل حجية القراءات وتوجيهها ، وهي ماأولاه المصنفون في القراءات من بعده اهتماماً كبيراً .

في عقب بيان ابن اسحق لنزول قوله تعالى : « يايها الذين آمنوا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلم لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا»(٤)، يقول ابن هشام :« قرأ أبو عمر بن العلاء : « ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمناً »، لهذا الحديث » يريد: الحديث الذى اورده ابن اسحق في سبب نزول الآية ، من ان محلّم بن جثّامة قتل عامر بن الأضبط الاشجعي المشرك بعد أن حياه ونفراً

---

(١) السيرة ١/٥٨ .
(٢) الشعراء : ١٩٣ – ١٩٥ .
(٣) أبو عبيدة : مجاز القرآن ١/١٧ .
(٤) النساء : ٩٤ .

من المسلمين بتحية الاسلام ، مما اثار غضب رسول الله (ص) عليه ، حتى قال ثلاثاً « اللهم لاتغفر لمحلّم بن جثّامة» (١) فهذا يستدل به على أن حجة أبي عمرو في قراءته « السّلَم» : « السلام» ، هو هذا الخبر الذى تناقل الرواة ، وأورده ابن اسحق في سيرته. ومفاده: ان رجلا سلم على أولئك القوم فقتله أحدهم ، لأ نه قدّر أنه فعل ذلك خوفاً، فقرّعهم الله به. فالحجة لمن أثبت الألف أنه أراد التحية ، والحجة لمن طرحها أنه جعله من الاستسلام وإعطاء المقادة من غير امتناع (٢). والقراءة بالالف لم يقرأ بها أبو عمرو وحده ، بل قرأ بها معه قراء آخرون من السبعة ، هم : ابن كثير والكسائي ، وعاصم – في رواية أبي بكر وحفص وأبان بن تغلب – (٣) عنه.

ويربط ابن هشام القراءات باللهجات العربية ، ويبين ماتجوز القراءة به منها وما لاتجوز ، استنادا إلى اصل رئيس من أصول قبول القراءة ، وهو الرواية .ففي تعليقه على آية الإفك : «...والذى تولى كبرّه منهم له عذاب عظيم »(٤) . ،يذكر أن « الكبر» يلفظ في الرواية بصورتين : إحداهما بكسر الكاف ، والاخرى بضمها ، واما الذى ورد في القرآن فبالكسر (٥). وهذا يعني أن القراءة وردت بالكسر حسبُ دون الرفع .

(ب) المبهمات :

تعد السيرة أقدم المصادر في بيان « المبهمات» القرآنية . ويراد بالمبهمات : في اصطلاح علوم القرآن : أسماء الأشخاص والاشياء التي وردت مبهمة في القرآن من غير تبيين ، وبخاصة الأعلام فهي كثيرة الابهام في القرآن ، وفق منهجه في ترك كثير من التفصيلات والجزئيات ،وعدم التصريح بأسماء المسميات التي لايؤثر ابهامها في سير أحداث قصصه ، وفي تحقيق الاهداف التي قصد اليها . وقد الف في موضوع المبهمات من بعد غير واحد من الاعلام ، كالسهيلي شارح السيرة ،وتلميذه ابن عساكر (ت في القرن السابع للهجرة) والسيوطي (ت٩١١هـ) وكلهم اخذ عن السيرة واستفاد منها، فهي بحق مصدر أصيل في هذا الموضوع القرآني الجليل . والأمثلة على ذلك كثيرة ومنثورة في ثناياها ، نجتزىء منها بهذه الأمثلة خشية الاطالة .

(١) السيرة ٤/١٠٤٣ – ١٠٤٤ .
(٢) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع ص ١٠١ .
(٣) ابن مجاهد : السبعة في القراءات ص ٢٣٦.
(٤) النور : ١١.
(٥) السيرة ٣/٧٧٠ .

في موضوع « بعض مانزل من القرآن فيمن يؤذى الرسول » يقول ابن اسحق : « مشى ابي بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم بال قد ارمّ ، فقال: يامحمد ، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ماأرمّ ؟ ثم فتّه في يده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا أقول ذلك ، يبعثه الله واياك بعدما تكونان هكذا ، ثم يدخلك الله النار ، فأنزل الله تعالى فيه: « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا انتم منه توقدون » (١) .

فأنت ترى ان صاحب السيرة الأول، قد بيّن من الذى ضرب مثلا ونسي خلقه ، حين صرّح بأنه أحد المشركين المسمى أبيّ بن خلف .

وفي موضع آخر يذكر أن أبا جهل بن هشام هو (الاثيم) المعني بقول البارى عزّ وتعالى : « إن شجرة الزقّوم . طعام الاثيم . كالمهل يغلي في البطون . كغلي الحميم» (٢) ، وأن هذه الآيات نزلن فيه ، وذلك حين قال في شأن شجرة الزقوم التي وردت في القرآن : «يامعشر قريش هل تدرون ماشجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد ؟ قالوا: لا ، قال: عجوة يثرب بالزبد، والله لئن استمكنّا منها لنتزقمنّها (٣) تزقماً» .

ويذكر في موضع ، أن أبي بن خلف هو المعني بقوله تعالى :« ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً» إلى قوله :« للانسان خذولاً» (٤)، وذلك حين آذى رسول الله (ص) أمام ملأ من قريش .

(ح) المُعَرَّب :

من الدراسات القرآنية المهمة في السيرة مايتعلق بـ« المُعَرَّب» في القرآن ويراد به في الاصطلاح : الألفاظ الأعجمية التي شاع استعمالها لدى العرب القدماء ، وتحوّرت في ألسنتهم على وفق قوانين العربية ، بطرح بعض أطرافها وتبديل بعض حروفها،

---

(١) يس : ٧٨ — ٨٠ .
(٢) الدخان : ٤٣ — ٤٦ .
(٣) السيرة ١/٢٤٣.
(٤) الفرقان ٢٧ — ٢٩ .

وتغيير موضع النبر منها، حتى صارت على صورة شبيهة بالكلمات العربية(١). من ذلك ان ابن اسحق ذكر عام الفيل، وكيف رد الله الأحباش عن دخول مكة، وأحبط حملتهم على البيت الحرام فقال تعالى: «ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيراً أبابيل. ترميهم بحجارة من سجّيل. فجعلهم كعصف مأكول» (٢).

فعلق ابن هشام على لفظة «سجيل» برواية عن يونس بن حبيب وأبي عبيدة، بمايدل على أن هذه اللفظة عربية الاصل، وليست فارسية كما ورد في أخبار أخرى. وهذا يرجع في الأساس إلى أن أبا عبيدة خاصة كان ينكر أن يكون هناك معرب في القرآن، ويذهب إلى أن كل مافيه عربي صميم. وكان يقول: «فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول» (٣). يقول ابن هشام في روايته هذا الرأي: «... وأما السجّيل، فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب: الشديد الصُلب، قال رؤبة بن العجّاج:

ومسّهم ما مسّ أصحاب الفيل ترميهمُ حجارة من سجيل
ولعبت طير بهم أبابيل

وقد مر الاستشهاد بهذا الرجز في كلام سابق من هذا البحث.

ثم قال: «وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتها العرب كلمة واحدة، وإنما هو سَنجْ وجل، يعني بالسَنج: الحجر، والجل: الطين، يعني الحجارة من هذين الجنسين: الحجر والطين» (٤).

وهذا القول الثاني في أصل «سجّيل» مروي عن ابن عباس وغيره (٥). وواضح أنه يرد اللفظة إلى أصل غير عربي، وفيه نظر، مادام في الامكان رد اللفظة إلى أصل عربي تكون قد اشتقت منه:

---

(١) ابراهيم أنيس: من أسرار اللغة ص ١٢٥.
(٢) سورة الفيل.
(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/١٧.
(٤) السيرة ١/٣٦.
(٥) الطبري: جامع البيان ٣٠/١٩٣ بولاق.

(د) الناسخ والمنسوخ :

اشار ابن اسحق إلى شيء قليل من النسخ في القرآن. فذكر أنه حين نزل على المسلمين قوله تعالى: « يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون »(١)، اشتد على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ،ومائة ألفاً. فخفف الله عنهم فنسختها الآية الأخرى ، وهي قوله تعالى : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبو ألفين بإذن الله والله مع الصابرين»(٢). قال : فكانوا إذا كانوا نصف عدوهم لم ينبغ لهم أن يفروا منهم ، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم، وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم »(٣).

(هـ) المحكم والمتشابه :

ذكر ابن اسحق عند تأويله الآية السابعة من سورة آل عمران — وهي الآية التي ذكرت هذين الضربين من القرآن في سياق واحد — القاعدة العامة في ذلك، وهي رد المتشابه إلى المحكم لبيان معناه ، من حيث ان المتشابه يحتمل الوجوه، في حين لايحتمل المحكم إلا وجهاً واحداً. يقول: « ثم ردوا تأويل المتشابه على ماعرفوا من تأويل المحكم التي لاتأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد ، واتسق بقولهم الكتاب وصدّق بعضه بعضاً ، فنفذت به الحجة وظهر به العذر ... » (٤).

وواضح أن ابن اسحق يرى أن تأويل المتشابه يعلمه الله والراسخون في العلم، وليس لله وحده سبحانه ، ويدل على ذلك أيضاً عدم وقوفه في التلاوة عند لفظ الجلالة، إذ نجده يقول : « وما يعلم تأويله» : أي الذي به أرادوا ما أرادوا « إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا» فكيف يختلف وهو قول واحد من ربّ واحد»(٥). وهذا الذي ذهب إليه في تأويل المتشابه أحد وجهين فيه ، والآخر أنه لايعلمه إلا الله تعالى. والأول عليه الأكثرون، ومنهم مجاهد ،وعامة المتكلمين والأشاعرة ... (٦) .

---

(١) الأنفال : ٦٥ .
(٢) الأنفال : ٦٦ .
(٣) السيرة ٤٩٨/١ .
(٥) و (٤) السيرة ٤١٦/٢
(٦) الزركشي : البرهان ٧٤/٢ وما بعدها .

(٥)

أثر السيرة في مصادر الدراسات القرآنية :

والآن، بعد أن أوضحنا مادة الدراسات القرآنية في السيرة النبوية، وبيّنا ألوانها، لابد أن نجيب عن هذا السؤال الذي لانشك في أنه يراود الأذهان، وهو: إذا كانت السيرة بهذه الأصالة والتنويع في دراسات القرآن، فما أثرها على مصادر هذه الدراسات التي أعقبت، العالمين الجليلين ابن اسحق وابن هشام محرري السيرة بصورتها الأصلية والمهذبة؟ فنقول: إن ذيوع السيرة وأصالتها، جعلت كثيراً من المصنفين في الدراسات القرآنية يرجعون اليها ويعتمدون على أقوال صاحبها، وبخاصة ابن اسحق؛ فإن كثيراً من الذين تقدموا على خلفه ابن هشام في العصر أخذوا عنه في مواد متنوعة: في النزول والتفسير والمبهمات ونحوها. سواء أكانوا ممن ألف في أسباب النزول كالواحدي (ت ٤٦٨هـ)، أم ممن ألف في التفسير كالطوسي (ت ٦٠٤هـ) والطبرسي (٥٤٨هـ) والقرطبي (ت ٦٧١هـ) وابن كثير (ت ٧٤٧هـ)، وكانوا يوردون قوله مع أقوال من تقدم من أهل العلم، من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

فالواحدي يعتمد على السيرة في النزول، ويورد ذلك في مصنف خاص بهذا الموضوع اشتهر وذاع وعُرف بـ «أسباب النزول» وهو متداول مطبوع، ويعد من المصادر الرئيسة في بابه. فنراه يقول مثلاً في حديثه عن نزول قوله تعالى: «وإن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله» (١): «... وقال محمد بن اسحق عن رجاله — يريد: الذين يروي عنهم —: لما أصيبت قريش يوم بدر فرجع فلهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بعيره، مشى عبدالله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش... فقالوا يامعشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال، الذي أفلت، على حربه لعلنا ندرك منه ثأراً ...» (٢). وأفاد من السيرة أبو جعفر الطوسي في تحرير مادة تفسيره «التبيان»، إذ أخذ منه طرفاً من النزول والتفسير وغيرهما. من ذلك ما أورده في تفسير الآية (١٠٢) من البقرة فقال: «قال ابن اسحق: وقال بعض أحبار اليهود الا تعجبون من محمد (ص) يزعم أن سليمان كان نبياً؟! والله ماكان إلا ساحراً!! فأنزل الله تعالى:

---

(١) الأنفال : ٣٦ .

(٢) الواحدي : أسباب النزول ص ١٣٦ .

« وما كفر سليمان»(١). ويسلك الطوسي ابن اسحق في سلك المفسرين، حين يأخذ من سيرته التفسير ، ويصرّح بأنه « من أهل العلم» (٢). وهذا يدل على اكباره واعتماده عليه :

وأفاد من السيرة من بعد الطوسي أبو علي الفضل الطبرسي في تفسيره« مجمع البيان»، فنقل عن ابي اسحق طائفة من الأقوال المتعلقة بالنزول والتفسير (٣) .

كما أفاد منها أبو عبدالله القرطبي في تفسيره : « الجامع لأحكام القرآن » على نحو ما بيّنه في تفسير الآية (٥) من الحشر (٤).

وكذلك الحافظ اسماعيل بن كثير في تفسيره : « تفسير القرآن العظيم »(٥)، إذ استدل بقول ابن اسحق على وجه ذهب اليه في مقابل آخر يتعلق بالآية (٥) من التوبة .

---

(١) الطوسي : التبيان في تفسير القرآن ٣٧١/١ .
(٢) المصدر نفسه : المكان نفسه .
(٣) الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ١٥/١٥ .
(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٦/١٨
(٥) ٣٦٤/٣ .

المصادر والمراجع

١ — ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم : مقدمة في أصول التفسير ، بتحقيق الدكتور عدنان زرزور ، ط ٢ ، دار القرآن الكريم — الكويت ١٩٧٢ .

٢ — ابن خالويه: الحسين بن أحمد : الحجة في القراءات السبع ، بتحقيق الدكتور عبد العال سالم ، دار الشروق — بيروت ١٩٧١ .

٣ — ابن سعد: محمد الواقدي : كتاب الطبقات الكبير ، تصحيح أدوارد سخو ، طهران بالأوفست عن طبعة ليدن ١٣٢٥هـ.

٤ — ابن الصلاح : عثمان بن عبد الرحمن : مقدمة في علوم الحديث ، دار الحكمة بيروت ١٩٧٢ .

٥ — ابن كثير : اسماعيل : تفسير القرآن العظيم ، الطبعة الأولى ، دار الأندلس بيروت ١٩٦٦ هـ .

٦ — ابن كثير اسماعيل : السيرة النبوية ، بتحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبعة البابي — القاهرة ١٩٦٤ .

٧ — ابن مجاهد: أحمد بن موسى : كتاب السبعة في القراءات ، بتحقيق الدكتور شوقي ضيف ، ط ١ دار المعارف ١٩٧٢ .

٨ — ابن هشام : ابو محمد عبد الملك : سيرة النبي (ص) ، بتحقيق محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني — القاهرة ١٩٧١ .

٩ — أبو شامة : عبد الرحمن المقدسي : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، بتحقيق طيار آلتي قولاج ، دار صادر — بيروت ١٩٧٥.

١٠ — الجويني: الدكتور مصطفى الصاوى : مناهج في التفسير، شركة الاسكندرية للطباعة — ١٩٧١ .

١١ — الخزرجي :أحمد بن عبدالله : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، بتحقيق محمود عبد الوهاب ، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة (لم تذكر سنة الطبع) .

١٢ — الراغب : الحسين بن أحمد : مفردات الفاظ القرآن ، بتحقيق نديم مرعشلي ، مطبعة التقدم العربي — بيروت ١٩٧٢ .

١٣ ـ الرضي : محمد بن الحسين : المجازات النبوية ، بتحقيق الدكتور طه محمد الزيني ، مطبعة الفجالة الجديدة ـ القاهرة ١٩٦٧ .
١٤ ـ الزرقاني : محمد عبد العظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة (بلا) .
١٥ ـ الزركشي : محمد بن عبدالله : البرهان في علوم القرآن ، بتحقيق أبي الفضل ، ط ١ ، دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة ١٩٥٧.
١٦ ـ الزمخشري : محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق التنزيل ، مطبعة البابي ، القاهرة ١٩٤٨ .
١٧ ـ السهيلي : عبد الرحمن : الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ، بتحقيق عبد الرحمن الوكيل ، ط ، دار النصر للطباعة ـ القاهرة ١٩٦٧.
١٨ ـ السيوطي : جلال الدين : الاتقان في علوم القرآن ، ط ٣ مطبعة المدني ـ القاهرة ١٩٥١
١٩ ـ الطبرسي : الفضل بن الحسن : مجمع البيان في تفسير القرآن ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ١٩٦١ .
٢٠ ـ الطبري : محمد بن جرير : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبعة المحققة ، وطبعة بولاق الثانية ، صورة بالأوفست ـ دار المعرفة ـ بيروت ١٩٧٢ .
٢١ ـ الطوسي : محمد بن الحسن : التبيان في تفسير القرآن ، بتحقيق أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب القصير ، المطبعة العلمية ـ النجف ١٩٥٧.
٢٢ ـ الفيروز آبادي : محمد بن يعقوب : بصائر ذوي التمييز في لطائف تتعلق بالكتاب العزيز ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية ـ القاهرة ١٩٦٤ :
٢٣ ـ القرطبي : محمد بن أحمد : الجامع لأحكام القرآن ، ط ٣ ، دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٩٦٧ .
٢٤ ـ مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية ، ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين ، دار الفكر (بلا) :
٢٥ ـ مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، مطبعة محمد علي صبيح ـ القاهرة (بلا).
٢٦ ـ الواحدي : علي بن أحمد : أسباب النزول ، ط ٢ مطبعة الحلبي ـ مصر ١٩٦٨ :
٢٧ ـ ونسنك : الدكتور أ : ي : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، ليدن ١٩٣٦ :